بين الفكر الفلسفى والفكر التربوى

تأثير وتأثر

د٠ محمد صلاح الدين مجاور *

مقـــدمة :

من المسلم به أن كل نظام أو فكر تربوى أو غير تربوى لابد أن يكون مستندا الى فلسفة أو فكر فلسفى يوجه مسيرته ، بل أن كل عمل تربوى يتم داخل الفصل أو خارجه ما لم تحكمهوجهة نظر فلسفية كان كأى عمل لا هدف له ولا غاية ٠ والعلم نفسه فى صورته القديمة أو التجريبية الحديثة ما لم يستند الى نظرة فلسفية تكشف عن أهدافه وتبين مراميه وغاياته ، يساء فهمه ٠ وقد تشوه نتائجه ٠ ومنذ القدم والعلاقة بين الفكر الفلسفى مهما تختلف اتجاهاته والفكر التربوى مهما تتنوع مناحيه ، قوية وطيدة وليس هذا بغريب فالنظرة الى الانسان والكون والحياة بفكر فلسفى هى التى مهدت السبيل الى النظرة الى هذا كله بفكر تربوى ومن ثم كان لكل فلسفة نظرية ، فكرهاالتربوى الذى سيطر على العملية التربوية فى فترة ما من عمر الزمان ٠ وربما استمر تأثير بعضها حتى يومنا هذا ٠ وها نحن أولاء نرى عندما نسأل أنفسنا عن أهداف التربية أو أهداف المدرسة أو أهداف المنهج المدرسى ، نماذج فلسفية مختلفة تتدخل فى وضع هذه الأهداف ٠ وبعض هذه النماذج له نظرته الاجتماعية التى تعالج طبيعة المجتمع وبعضها له نظرته الفردية التى تنظر الى الفرد طبيعة واستعدادا ٠ وبعضها له نظرته المعرفية وأهمية المعرفة فى بناء الانسان والمجتمع وهكذا نجد انماطا مختلفة من التفكير الفلسفى ، ينشأ عنها وجهات نظر مختلفة فى فهم الواقع وطبيعته وفى فهم الحقيقة والمعرفة والقيم وطبيعتها والعقل ودوره والتعليل وأهميته ٠ وكان لكل هذه التيارات الفلسفية وغيرها من التفكير آثارها على التربية والمجتمع والمدرسة ودورها والفرد وقيمته ٠ وبفهم هذه الأنماط المختلفة من

(*) أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعة الكويت ـ كلية التربية ٠

التفكير ، يستطيع الانسان أن يدرك كيف أن المواد الدارسية المختلفة ، نالت أهتماما وعناية وتركيزا فى أوقات مختلفة ، وكيف أن نظريات التعلم تغيرت وانتقلت من جيل الى جيل ، وكيف أن المتعلم حظى من الرعاية فى العملية التربوية وبخاصة فى اتجاهها الحديث ، واذا كانت العلاقة هكذا بين الفكر الفلسفى والفكر التربوى ، فلابد من اشارة الى الفلسفات ذوات الأثر فى فكرنا التربوى حتى يومنا الذى نحن فيه وسنتناول بايجاز كلا من الفلسفة المثـــالية Idealism والفلسفة الواقعية Realism والفلسفة التقـــدمية Progressivism والفلسفة الوجودية Excistentialism والبنائية التجديدية Reconstructivism والتحليـــل الفلســـفى Philosophical analysis وهى المدارس الفلسفية الأكثر شـــهرة والأعمق تأثيرا فى مجال الفكر الانسانى والابعد ارتباطا بالفكر التربوى ·

أولا : الفلسفة المثالية Idealism :

وهى كالفلسفة الواقعية Realism من الفلســـفات التقليدية Tradition تؤكد على الجانب الفكرى والعقلى فى الانسان وكان لهما تأثيرهما فى توجيه النظرية التربوية فى العالم الغربى وامتد أثرها الى العالم العربى كذلك · ويمكن أن يقال أن جذور المثالية تمتد الى أن ترتبط بفكر افلاطون واذا كان هناك قلة من فلاسفة التربية المعاصرين يمكن تصنيفهم على أنهم من فلاسفة المذهب المثالى ، فهذه الفلسفة قد وجدت لها مجـــالا واسعا فى الماضى وازداد توسعها وانتشارها وبخاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع شر ، وكانت ذائعة الصيت فى المانيا على يد فخت Fichte وهيجل Hegel وماركس Marx وعلى يد فروبل Freiderieh fropel منشىء مدارس رياض الأطفال Kindergarten كما وجدت فرصتها فى الولايات المتحدة وكان من فلاسفتها الداعين اليها اميرسون Emerson ووليم هارس William Harris ، بل ان جون ديوى John Dewey نفسه أحد رواد التقدمية وفيلسوف البرجماسية اليوم ، كان أول أمره وفى بداية نشأته الفكرية ، من تلاميذ الفلسفة المثالية الداعين لها ، هذه الفلسفة تشير الى نمط من التفكير يؤكد أهمية العقل وأن الحقيقة والواقع لا وجود لهما الا فى العقل وهى ترفض امكانية أن يكتسب المرء معرفة ما من غير العقل فهو تعبير عن ذكاء عام عال ·

ومن التطبيقات التربوية الجارية اليوم ما يرجع فى أساسه الى الفلسفة المثالية ، والتربية فيها : عملية كشف عما هو كائن فى عقل المتعلم · والمعلم هو النموذج والمثل فى الخلق والثقافة · أما أسلوب الأداء عندها فهو أسلوب سقراط مع تلاميذه فالمعلم يحاور التلاميذ بسؤال بعد سؤال ليقودهم نحو الحيرة والشك ثم تجىء المعرفة الحقة · ومادامت الافكار كامنة فى العقل فدور المعلم أن يخرج هذه الأفكار وتلك المعارف الى الشعور ، ومادام الواقع هو نتاج العقل فالتربية تتعامل مع الأمور المدركة · والمتعلم يبحث عن فهم واسع لعالمه الذى يكتسبه من خلال تعلمه ، والمربى المثالى يرى وضع المنهج فى صورة تجعل الافكار فى المواد الدراسية المختلفة مرتبطا بعضها ببعض ، والمنهج عنده انماط تقليدية كالحساب والمنطقواللغة والاخلاق مثلا وهو ما تؤكد عليه المدرسة المثالية · وعندها أن المستوى الراقى من المعرفة والمعلومات هو الذى يأخذ فى اعتباره العلاقة الداخلية بين المواد المختلفة ويبحث كذلك عن التكامل فيما بينها ، وهو كذلك يتضمن الميراث الثقافى للانسانية ويضع تركيزا على المجردات والنظريات والمبادىء والمفاهيم ، أما الفلسفة والرياضيات فلها قيمة خاصة لأنها بطبيعتها تمكن المتعلم من التعامل مع المجردات وكذلك التاريخ والأدب لأنهما مصدر الثقافة والأخلاق · أما علوم الطبيعة والحيوان وتلك التى تتعامل مع السبب والنتيجة فانها تحتل مكانة أقل ·

وفى ضوء هذا كله يمكن أن نسأل ما التعلم اذن فى نظر الفلسفة المثالية ؟ ويجيب المربى المثالى عن هذا السؤال : بأن المدرسة مؤسسة اجتماعية فيها يبحث المتعلم ليكتشف الحقيقة ويتابعها · فهى مؤسسة مسئوليتها الحفاظ على القيم ودعمها وبها يختبر عقله حتى يحصل على الحقيقة الكبرى Universal truth . ان عمليات التفكير ادراك وتأمل يبحث من خلالهما كل من المعلم والمتعلم عن اجابات عن الأسئلة التى اثارها من قبل افلاطون ومن قبله سقراط فقد سأل أفلاطون هذه الاسئلة الآتية ما الحقيقة ؟ وما الجمال ؟ وما السعادة ؟ وكانت الاجابة التى ارتضاها أنها موجودة فى عقولنا وان كانت غير ظاهرة وما على المدرس الا أن يساعد التلاميذ فى أن ينعكس ذلك لديهم ، فهو مصدر السلطة الناقل للمعلومات · وهو المسئول عن تحقيق المستوى المطلوب من تحصيل التلاميذ · والمسئول عن أن يكون المشخص للواقع Personification ليفيد تلاميذه أكبر

قدر ممكن من المعارف · وأفضل المدرسين فى نظر هذه المدرسة وأحسنهم هو الذى يثير من الأسئلة ما له دلالة ومعنى ويتجاوز بأسئلته الزمان والمكان، وهو الذى يعلم التلاميذ أن يفكروا وأن ينشئوا مجردات وتعميمات قدوره فى ايجاز أن يصقل عقل المتعلم وهذا أرقى عمل فى العالم يقوم به انسان · كذلك مما أثير من أسئلة عندهم : من الذى يذهب الى المدرسة ؟ ومن الذى يتعلم ؟ أصحاب هذه الفلسفة المثالية يرون أن كل طفل من حقه أن يذهب الى المدرسة لأن الأشخاص جميعا فى حاجة الى صقل العقل وتهذيبه ولكن التلاميذ جميعا ليسوا على مستوى من القدرة والاستعداد ومن ثم يكون صقل العقل وتهذيبه الى المدى الذى تمكنه منه قدرات المتعلم العقلية · أما ذوو القدرات العالية فهم فى حاجة الى مستويات أكاديمية عالية فيها شىء من التحدى للمتعلم وعلى المعلم أن يقدم لهم هذا المستوى العالى ، وكما يبدو فان التفوق الأكاديمى هو محور هذه الفلسفة وأن كل انسان من حقه ان يتعلم ولكن طبقا لما لديه من قدرات واستعدادات ، والتركيز على الجانب الاكاديمى وعلى التفوق من أبرز سمات هذه الفلسفة الواضحة فيها·

ما النظرية التربوية التى ارتبطت بهذه الفلسفة ؟ لسنا هنا بصدد التفرقة بين النظرية والفلسفة ولا بين النظرية والقانون · والفلسفة أية فلسفة تمثل وجهة نظر فى الحقيقة والمعرفة والقيم والجمال وما الى ذلك · فهى تتعامل مع مفاهيم مجردة من حيث علاقة الانسان بها فى الحياة ، فهى تحاول تفسير الحياة وتعطى لها معنى وتحاول المساعدة فى استنتاج مسرح لهذه المفاهيم كى يكون لدينا اتجاهات ومعتقدات وانماط سلوك ، بل وأفكار عن المجتمع وعن العالم · والفلسفة أية فلسفة تحاول أن تعطى معنى لمجالات أخرى كالطبيعة والسياسة والتاريخ والاقتصاد وهى كذلك تتعامل مع التربية · والفلسفة بهذا فيها شمول الى حد ما لا يتوافر فى أية نظرية بل انها قد ينبثق عنها عدد من النظريات فى مجالات الحياة المختلفة · والنظرية يمكن أن يقال أنها فكرة لها ركائزها فى مجال ما من مجالات الحياة ففى مجال التربية يمكن أن تنشأ عدة نظريات وربما فى مجال واحد · وفى مجال السياسة والاقتصاد وغير ذلك يمكن أن توجد نظريات · وفى مجال التربية الذى يهمنا نجد أن النظريات التى ظهرت فيها تتعامل أساسا مع التربية ولذلك جاءت غير متكاملة وغير كاملة فى تعاملها مع الحقيقة والمعرفة والقيم ولا تذهب بعيدا عن الفكر التربوى ما عدا البرجماسية فهى الوحيدة التى

لديها تصور عن المعنى الاقتصادى والتاريخى وغيرهما · كذلك النظرية البنـــائية Reconstructionism فهى أيضا لها تصور فى المعنى الاقتصادى والتاريخى وما اليهما · وقد نبعت النظريات التربوية بعامة من الفلسفات المختلفة ويحاول التربويون أن يجعلوا من نظرياتهم فلسفات أو على الأقل قريبة من الفلسفة ·

وقد ارتبط بالفلسفة المثالية Idealism وهى فلسفة تقليدية كذلك، ما يسمى بالنظرية الاساسية فى التربية Perenialism وهى تمثل الفكر التربوى الأساسى ، وتعبر عنه · ذلك الفكر الذى كان له تأثيره على مـــر العصور وهو الفكر الذى قاد الحركة التعليمية فى الولايات المتحدة بل وفى غيرها فى المائة والخمسين سنة الأولى من عمر أمريكا · هذه النظرية ترى نفسها قائمة على فلسفة الثقافات القديمة · فهى تؤكد المنهج الكلاسيكى Classic approach فى التعليم نفسه كما تؤكد على المواد الدراسية Subject matters التى يجب تعليمها جيلا بعد جيل ، فوظيفة التربية عند أصحاب هذه النظرية أن يتعلم المتعلم هذه المواد التى لها صلة بالعالم والتى هى عندهم حقائق فى ذاتها تتناول القيم وهى فى جوهرها تشـــمل الدين والأخلاق · ويتركز محور التعليم عند هذه النظرية فى النشاطات التى تنظم العقل وتربيه فهى أكثر تركيزا واهتماما بالتربية العقلية · أما المؤثرات الاجتماعية والنفسية على المتعلم فتأتى عند أصحاب هذه النظرية فى المرتبة الثانية · فمهارات القراءة والكتابة والحساب The Three RS فى المدارس الابتدائية ، والتاريخ واللغة والمنطق والأدب القديم فى المرحلة الثانوية · والمعاهد العالية تمثل عندهم المواد الدراسية التى تشكل منهج المدرسة فى ركائزه · وهى تمثل كذلك المعلومات الضرورية للوقوف على الوســـائل الانسانية لحضارة المجتمع ، كما أنها أبرز الوسائل فى تنظيم العقـــل وتربيته ·

والنظرة العلمية الموضوعية فى هذه النظرية توجه نقدا اليها فمنهج المدرسة الثانوية والجامعة عندها يوجه أكثر فأكثر نحو تربية من هم فوق المتوسط من التلاميذ وبرنامج الدراسة يوضع للقادرين وحـــــدهم ولذوى العقول المتميزة ، أما التربية المهنية وتربية المتخصصين فتؤجل عندهم حتى ينتهى المتعلم من كل متطلبات ما يسمى بالتربية العامة التى لابد منها لكل

انسان طبقا لقدرته · كذلك مما وجه الى هذه النظرية من نقد أنها لم تعد ملائمة لروح العصر وتسيطر عليها فكرة تقدير المعرفة التى تعلم ، أكثر من الانسان الذى يتعلم ، وتتمسك بالأفكار التى تهمل حاجات التلاميذ النفسية والاجتماعية كما أنها لا تهتم بمن هم دون المتوسط من التلاميذ · ومن عجب أن بعض من يميلون الى هذه النظرية يختلفون مع كثير من اتجاهاتها · ومثل ذلك جون ديوى الذى بدأ مثاليا وانتهى تقدميا بل من أبرز قادة الفكـــر البرجماسى فى التربية ولا غرابة فكل البحوث العلمية فى مجال علم النفس وغيره غيرت كثيرا من المفاهيم التى كانت ·

ثانيا : الفلسفة الواقعية Realism :

وهى فلسفة لها نظرتها الى الكون والانسان وتؤمن بالعالم المادى وأنه موجود خارج العقل الانسانى فالحقيقة عندهم موجودة والواقع موجود سواء ادركه العقل الانسانى أم لم يدركه · فاذا ما اغمض الانسان عينيه مثلا فان هذا لا يعنى عدم وجود الواقع فهو موجود وان لم تره العينان · والمثاليون يقولون اذا لم تر الاشجار مثلا فمن المحتمل ألا تكون موجودة حقا ولكن الواقعيين يرون أن الاشجار موجودة وان لم يرها الانسان شخصيا وفى نظريتهم كذلك أن التغير وظيفة القوانين الطبيعية فليس عندهم ثبات مطلق والتغير عمل قوانين الطبيعة وليس بجهد الانسان· وأهداف المعرفة الانسانية عندهم مساعدة الانســـان فى ادراك حـــركة العالم وقوانينه · والواقعيون بما فيهم أرسطو Aristotle وتوما الاكوينى Tomas Aquinas وكذلك ســـــبينوزا Spinoza والواقعيـــون المحـــــدثون بمـــا فيهم هارى برودى Harry Broudy والأكثر حـــــداثة منهـــم وليم مورتن William Mortin وبستالوتزى Pestalotzzi يؤكدون أهمية الواقع ويرون أن العالم المادى شىء خارج العقل وليس شيئا فى داخل العقل كما يراه المثاليون · وعند المربى الواقعى وكذلك الفيلسوف الواقعى هناك نظام أساسى من الواقع يتضمن أشياء لها استقلالها عمن يعرفها أو عمن يمارسها ، والانسان قادر على معرفة هذه الاشياء وادراكها من خلال حواسه أو من خلال عقله · والانسان فى محاولته معرفة الواقع وادراكه قد يصل الى طبيعة الاشياء : مثلا تركيب المجتمع ، مكونات العالم ··· وهكذا ·

أن أصحاب الفلسفة الواقعية يتعاملون مع الاحساس بالعالم الخارجى من دائرة التجريد العقلى · وكذلك المربى الواقعى يدرك نظاما معينا للتعلم ، فالمتعلم عنده يرى الشىء أولا فيسجل العقل معلومات محسـة عن الحجم والشكل واللون والصوت وغير ذلك ، وهذه المعلومات المحسة تدخل العقل فتساعد على فهم أكثر للشىء وبالتالى على فهم الاشياء الأخرى المماثلة ، وبهذا يتميز هذا الشىء ونوعه وخصائص شكله ومقوماته عن غيره ، وبهذا التمييز يستطيع المتعلم أن يجرد خصائص الشىء وأوصافه ومن ثم يصل الى ادراك المفهوم ، وهذا التصور يأتى عندما يجرد العقل شكل الشىء ويدرك أن هذا الشىء ينتمى الى نوع أو جنس · والواقعيون كالمثاليين يرون أن المنهج يجب أن ينظم فى صورة موضوعات أو مواد منفصلة لأن هذا يساعد فى تنظيم العقل وفى عمليات تصنيف متطورة للمعرفة · فتنظيم التاريخ أو الجغرافيا أو الكيمياء أو الجبر مثلا يتضمن مجموعة من المفاهيم المترابطة كما يتضمن مجموعة من الموضوعات وهذه كلها يمكن شرحها لتفسير الخبرة الانسانية فى كل مجال منها · وكل مجال من هذه المجالات يشكل نظاما من المفاهيم فى اطار وتركيب من المعانى المترابطة أيضا · فمثلا تنظيم الأمم وتنظيم الحكومات يمكن أن يدرس فى اطار العلوم السياسية ومجالاتها · أما الخبرات السابقة للانسان فيمكن أن يدرس فى اطار علم التاريخ ·

والواقع أن النظرة التربوية التى عرفت جيدا فى الستينات بل وتكوين المادة الدراسية وأساليب تدريسها التى عرفت فى هذه الفترة تستند فى بعض أسسها الى الفلسفة الواقعية · وفى ضوء فلسفة الواقعيين وتصورهم أثيرت مثل الأسئلة الآتية ما دور المدرسة ؟ وما وظيفتها ؟ ويجيب الواقعيون عن هذا فيقولون : ان المدرسة بيئة خاصة جاء بها المجتمع للعناية والارتقاء بالجانب العقلى فى الانسان · وهى مؤسسـة مدعومة بذوى الكفايات من المدرسين الذين لديهم معرفة بالمادة الدراسية التى يعلمونها ولديهم مهارة فى تعليمها للناشئة الذين لا معرفة لهم بها · فالمدرسة والمعلم معا وظيفتهما نقل المعرفة والمهارات المتعلقة بها الى التلاميذ فدورها عقلى أكاديمى ، ففى المدرسة الابتدائية تقوم وظيفة المدرسة على أساس مساعدة التلاميذ أساسا لاكتساب مهارات القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وفى مستوى المدرسة الثانوية والجامعة يتضمن التدريس مجموعة من المواد المهمة كما يتضمن ما يتعلق بحكمة الجنس الانسانى على مر العصور كما حددها العلمـاء

والمفكرون · وهذه المواد وتلك الحكم تتضمنها المواد الدراسية مثل التاريخ واللغة والعلوم والرياضيات ، ومن هنا اذا عرفنا هذه العلوم فقد عرفنا شيئا عن العالم الذى نعيش فيه · فهذه المعلومات من وجهة نظرهم أعظم مرشد لنا وموجه فى تنظيم حياتنا اليومية ·

والمعلم عند الواقعيين ناقل للمعرفة والحكمة فهو الانسان المتمكن فى كل من المعلومات المتصلة بالمـــادة التى يدرسها وبأســـلوب التدريس الذى يدرسها به وعليه أن يستخدم بعض الحوافز فى تعليم الصغار من التلاميذ ليشجعهم على التعلم الذاتى · ومع أن التفاعل الشخصى والاجتماعى أساسى فى عملية النمو عندهم الا أن اكتساب المعرفة المنظمة يحدد أسلوب التدريس وهم يدعون الى تكوين الرغبة فى التعلم عند المتعلم الا أنهم يرون أن كل ما يرغب فيه الطفل ليس بالضرورة ذا قيمة له أو لمجتمعه · ومهارة المعلم عندهم تبدو فى تكوين مهارات نحو تعلم الأمور والاشياء الصحيحة التى يجب أن تعلم ومن واجب التلميذ أن يتعلمها · ويحدد وليم مارتن William Martin أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة رودايلند Rhode Island واجبـــات المدرس فيما يأتى بايجاز :

١ ـ أن يدرس المعرفة الانسانية ·
٢ ـ أن يكون فاهما مدركا لمؤهلاته العلمية ·
٣ ـ أن هناك درجات من المعرفة ومستويات من التأكد تستند الى الواقع ·
٤ ـ أن المعرفة والحكمةالانسانية عماد العملية التربوية فعليه نقلهما للتلاميذ فهما وسيلة ربطهم بالحياة والمجتمع ·

ما النظرية التربوية التى ارتبطت بهذه الفلسفة ؟ انبثق عن النظرية الواقعية فى مجال التربية ما يسمى بنظرية الجوهر أو Essentialism وهى تقدم الجوهر والماهية على الوجود نفسه وهى لها اتجاهاتها التربوية التى قد تتفق أحيانا مع النظرية الاساسية فى التربية وقـــد تختلف فبينما الفلسفة الأساسية تركز فى المنهج على الجوانب العقلية والتراث الثقافى ، نجد أن فلسفة الجوهر أو الماهية هذه تتجه نحو مسئولية المدرسة فى تحصيل الحاجات المعاصرة وذلك بتدريس المهارات الضرورية وترى أن Three RS

يجب التركيز عليها فى المدرسة الابتدائية وان دور المدرسة الثانوية والجامعة التركيز على الاساسيات الخمسة وهى الحساب والعلوم والتاريخ واللغة القومية واللغة الأجنبية ، وهذه هى أدوات التربية المعاصرة فى نظرهم وهى التى تلبى حاجات المجتمع من الانسان · وهذه النظرية تلتقى مع سابقتها فى الأدوات تقريبا ولكنها تختلف عنها فى الغاية والهدف · فهذه عند النظرية الأساسية أدوات لتربية العقل وتنظيمه وهى عند نظرية الجـــوهر والماهية أدوات لتحصيل الحاجات المعاصرة · ومن هنا كانت هذه النظرية ترى أن ترك تدريس الأدب القديم والمنطق واللاتينى أو اليونانى والاهتمام بتدريس العلوم الحديثة أو اللغة الفرنسية مثلا لغير الناطقين بها أهم وأفضـــل للمتعلمين ، ومع هذا فهذه النظرية التربوية يمكن اعتبارها نظرية تقليدية محافظة تربويا ، تركز على المعرفة والمواد الدراسية وعلى المهارات الاساسية، وترى أن المعلم كذلك ناقل للمعرفة موصل لها · وهذه أوجه نقد توجه لهذه النظرية · ومع هذا النقد فلا تزال آثارها فى العملية التربوية موجودة كذلك الى يومنا هذا الذى نعيشه ·

ثالثا : الفلسفة البرجماسية Pragmatism :

وهى فلسفة تقدمية كما يصفونها ، احتلت مكانا فى الفكر الفلســفى الحديث فهى فلسفة التركيز على الوسائل والذرائع ، وهى تحاول التوفيق والقضاء على الخلافات التى بين الفلسفة المثالية ، والفلسفة الواقعية وهى فلسفة متحررة Leberal ظهرت فى جو من الكـــلام عن الحـــرية الاقتصادية وعن حرية الانسان الفرد وفى مناخ الحديث عن الأسلوب العلمى والتجريب فتأثرت بهذا كله وكان لها رأيها فى الحقيقة وفى الذكاء الانسانى واتاحة الفرصة له ينطلق · وهى ترى أن مشكلات العالم والانسان يجب أن تكون موضع الدراسة والاهتمام وأن الاصلاح الاجتماعى أمر ممكن وأن الخبرة الانسانية داخلية ذاتية وخارجية كذلك ويمكن تعديل الداخـــل عن طريق تعديل الخارج · ومن وجهة النظر البرجماسية فان الحقيقة والواقع هما اللذان يعملان وا لانسان يمكنه أن يكون عاملا مساعدا فى ايجاد الواقع وتكوينه وتعديله ، وهذا يعنى أنه بالذكاء والجهد يمكنه أن يضع لنفســـه النظام الاجتماعى · وهى تؤمن بالأسلوب العلمى وتطبيقه فالعقول من خلال التجريب تستخدم لحل المشكلات والتنسيق العلمى للافكار يحـــدد قيمتها

ومعانيها ومن أبرز فلاسفة هذه الفلسفة تشارلزبيرس Charles Peirrce ووليم جيمس William James وجون ديوى John Dewey وهم جميعا فى فلسفتهم يعتقدون أن الانسان يستطيع التحكم فى المستقبل أو على الأقل المساعدة فى تشكيله بينما ترى المثالية والواقعية أن عالم الانسان محكوم بقوانين ثابتة وان التغير ظاهرى · ويؤكد البرجماسيون على التغير والتطور وأهمية استخدام الخبرة الانسانية فى السيطرة على البيئة ويرون أن التربية يجب أن تساعد الناس فى تعرف خبراتهم وبنائها واستخدامها لترقية ظروف الحياة من حولهم ، وان تعلم الصغار للحاضر وللمستقبل ليكونوا مؤهلين للعيش فى عالم متغير وللعمل على رفع مستوى النوع الانسانى ·

فالتربية يجب أن تكون عملية مثمرة تساعد المتعلم فى التغلب على مشكلاته ومشكلات البيئة ·هنا تثار كما أثيرت مع الفلسفات السابقة بعض الأسئلة ، مثلا ما دور المدرسة ووظيفتها ؟ وما دور المعلم ووظيفته ؟ وقد أجابوا عن هذا بأن المدرسة مجتمع صغير لصهر المتعلم وتهيئة فرص التفاعل باعتباره كائنا بينه وبين البيئة ومساعدته على تكوين المهارات الضرورية التى تمكنه من تحقيق هذا التفاعل بنجاح بل والتأثير القوى فى تغيير البيئة لصالحه وصالح بنى جنسه ، والعمل على توظيف المعرفة التى يتعلمها المتعلم وتحقيق وظيفتها · والمادة الدراسية عندهم مرتبطة بعالم متغير فليس فيها ثبات وانما يجب أن يعاد النظر فيها · ويبدو من هذا كله أن التربية عندهم كما أشرنا آنفا تجريبية وليست عملية نظرية وهى أسلوب عمل لحل المشكلات التى تظهر للناس من تعاملهم وتفاعلهم مع بيئاتهم ومجتمعاتهم · فعندما يواجه المتعلم مشكلة ، فان المعلومات التى يحتاج اليها لحل هذه المشكلة لا تأتى من مصدر واحد ولكنها تأتى من مصادر متعددة والمعرفة فى ذاتها ليست كافية فى مادة دراسية واحدة أو تنظيم دراسى واحد فروافدها متعددة · وتجب النظرة الى المدرسة على أنها امتداد للمجتمع وليست منفصلة عنه · واذا ما ركزت المدرسة على أسلوب حل المشكلات فيها ساعد ذلك المتعلم على مواجهة مشكلات المجتمع · ان المدرسة مجتمع رسمى لاختيار العناصر الثقافية وتنقيتها وتسهل صعوباتها لتسهل على المتعلم وليفيد منها نفسه فى مواجهة المشكلات التى تواجهه · أنها مؤسسة لنقل الثقافة والميراث الثقافى ولكن مع تنقية هذه الأوجه الثقافية وهى كذلك أداة لتقديم المهارات

المناسبة للصغار والقيم الملائمة لهـــم فى حاضرهم ومستقبلهم والمناســـبة لمجتمعهم كذلك ٠

أما المعلم فتراه هذه الفلسفة فى وظيفته التى تقوم على أساس مساعدة المتعلمين على اكتساب السيطرة على حياتهم من خلال تعلم تجريبى أو حل المشكلات problem solving وفى أسلوب تدريسه الذى يجب أن يتكيف بمرونة مع المواقف المختلفة وعندما يعمل المتعلم لحل مشكلة ما فهو كما ترى هذه النظرية لا يستخدم المتعلم التقليد الذى تسير عليه المدرســة التقليدية من حيث التأكيد فقط على فهم مجموعة من المعلومات تراها مساعدة للمتعلم فى حل المشكلات ٠ وهذا هو اتجاه الفلسفة المثالية والفلسفةالوا'قعية فهما يريان عرض المشكلة بعد تحديدها ثم الوقوف على الحل النسبى لها بينما ترى البرجماسية أن مسئولية المدرس أن يجعل تلاميذه يتعاملون مع المشكلة مباشرة ٠ واذا كانت المشكلات الاجتماعية تعالج من وجهة النظر المثالية والواقعية مع التلاميذ فى داخل الفصل والتعرض لها خارج الفصل مرفوض فالبرجماسيون يرون أن يختبر المعلم والتلاميذ أفكارهم فى التعامل مع البيئة ومع العالم الحقيقى ، وهو مستقل فى تعامله هـــــذا ولكن بغير استبداد ٠ فالمدرسة عند البرجماسيين تختلف عنها عند المثاليين والوا'قعيين، والمعرفة عند البرجماسية نسبية تخضع دائما للمراجعة ٠ ولا وجود للحقائق الثانية والعامة كما تقول الفلسفات القـــديمة التقليدية ٠ وهم يهتمون بوظيفية المعرفة أكثر من الاهتمام بثبات الحقيقة وثبوتها ٠ ومجموعة المعارف عندهم يمكن أن تختبر مرة ومرات بصورة تجريبية تخضع للاسلوب العلمى بكل مقوماته ٠ وليس هناك شىء لا يخضع للتجريب ٠

ما النظرية التربوية التى ارتبطت بهذه الفلسفة ؟ يمكن أن يقـــال ان البرجماسية فلسفة أنبثق عنها نظرية تربوية ذائعة الصيت هى ما يسمونه بنظرية Progressivism وهى نظرية لم تقف فى تطبيقاتها التربوية على الأسس الفلسفية عندما ظهر فى مجال البحث العلمى فى العلوم الأخرى ولكنها تأثرت كذلك بالحركة العلمية ونهضتها وبالكلام عن الديموقراطية والحرية وتقدير الانسان ومن ثم كان لها تطبيقاتها الشاملة فى المتعلم والمعلم وفى المنهج وأسلوب الأداء وفى الادارة المدرسية والعلاقات الانسانية ٠ وترجع جذور هذه النظرية الى القرن التاسع عشر ٠ ومن أبرز روادها وليم

جيمس وهوراس مان وجون ديوى وهى فلسفة تؤمن بالديموقراطية منهجا وأسلوب حياة وهى تركز على أن يكتسب المتعلم أسلوب حل المشكلات problem solving أو كما يسميه جون ديوى Reflective thinking وتؤكد كذلك على المتعلم « ككل » The whole child ومن ثم يجب أن يأخذ المعلم فى اعتباره حاجات المتعلم وميوله · وهى تؤكد أيضا على الخبرة experience centered على عكس الفلسفات السابقة عنها وأصحاب هذه النظرية وعلى رأسهم ديوى أول من أقاموا مدرسة تجريبية لتطبيق نظريتهم هذه وجعلوا فيها التربية عمليا عملية تفاعل بين الكائن وبيئته وأن قدرات المتعلم واستعداده تشكل أساسا مهما فى عملية التعلم ، والمدرسة مؤسسة اجتماعية والتربية فيها عمليات حياة للحياة وأنها يجب أن تمثل الحياة بواقعها مع اختيار النقى الصافى منها لتربية الأولاد وهى مؤسسة ضرورية للاصلاح الاجتماعى والتقدم الانسانى ، والمعلم عند أصحاب هذه النظرية ممثل لعالم الكبار ومن مسئوليته ربط عالم الصغار بعالم الكبار وذلك بترتيب نشاطات لهم تعدهم لهذا واختيار مواد تساعدهم · وهم لا يؤمنون بالفصل المدرسى بمعناه السائد ، فلا حوائط ولا حواجز فى العمل التربوى الذى يقوم به المعلم والمنهج عندهم خبرات نشطة وليس مجموعة مواد دراسية ومن ثم وضعوا ما يسمى بطريقة المشروع التى الغيت فيها الفواصل بين المواد وامتلأت بالأنشطة المختلفة التى تضع المتعلم فى المواقف العملية التى يمارس فيها نشاطا ما يكسبه مهارة أو مهارات وقيمة أو قيما ، معرفة ومعلومات وما الى ذلك ·

هذا وتؤمن هذه النظرية باستمرار الخبرة واستمرار المتعلم ، والتفاعل هو أساس المتعلم واكتساب الخبرات وأن الوظيفية هى طبيعة المعرفة · ان الذكاء والعقل أو العلة هى وظيفة الكائن كله وليست وظيفة عضو واحد فى الجسم والذكاء يشير الى كمية معينة من السلوك تتضمن سلسلة من الرموز لعدد من المفاهيم · والثقة بالنفس مثلا لا تعطى ولكن تكتسب باعتبارها نتيجة للخبرة والشخصية التى يكتسبها الانسان هى محصلة الخبرات التى يكتسبها الانسان · ولا شك عندهم فى أن التفاعل بين الانسان والعالم الخارجى من حوله هو العامل المهم فى اكتساب هذه الخبرات المربية · والهدف الأساسى عندهم فى التربية هو تنمية هذا الذكاء الانسانى ، فهو أداة الحياة والتقدم فيها · وكذلك العقل عندهم أداة تساعدنا فى فهم العالم الخارجى والسيطرة

عليه · ولهذه النظرية تصور فى فهم المعنى · فهم يرون أن معنى المدرك يمكن تصوره فى التسلسل والنظام الذى ينتمى اليه وفى ادراك علاقاته بما حوله فالمعنى ليس شيئا كامنا فى الشىء أو الصفة مثلا وانما هو جزء يدرك فى ضوء الكل · أما القيم فهم قلقون فى التعبير عنها ويفضلون استعمالات أخرى · وأخيرا فالطريقة العلمية فى التربية أساسية كذلك فى هذه النظرية والحقيقة أن هذه النظرية وان كانت قد فقدت الكثير من بريقها ولمعانها الا أنها شكلت كثيرا من الفكر التربوى الرائد الذى احدث تغيرات هائلة فى هذا الفكر ولا يزال · وحسبها أنها اعطت المتعلم لا المعرفة الاهتمام الأكبر · والتفاعل بين الانسان والبيئة لا المواد الدراسية تركيزا وتأكيـــدا لا يزال اثرهما قائما الى اليوم فى العمل المدرسى وبشكل فلسفة عنـــد كثير من المدرسين ·

رابعا : الفلسفة الوجودية excistentialism :

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ركزت الفلسفة على وصف الأوضاع الانسانية ووضعها وكان من أبرز مظاهر هذا التركيز ظهور ما يسمى بالفلسفة الوجودية وهى أساسا تركز على الوجود الانسانى، وفى هذه الفلسفة ظهر اتجاهان الأول ما يسمى بالوجـــودية المســـيحية Christian Existentialism كما عبر عنهـــا مارسل جاســـبرز Marcel Gaspars وغيره والوجودية الجمالية Aesthetic Excestintialism كما عبر عنها Camus وسارتر Sarter وغيره · والتفكير الأوربى هو أساس كل من هاتين الفلسفتين وان كانتا قد شاعتا وانتشرتا فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، هذه الفلسفة بشقيها ترى أن الانسان يوجد فرص حياته كما يوجد اختياراته والمشكلة عندهم ان يكون هذا الاختيار صحيحا · فالانسان عندهم هو الذى يختار لنفسه أن يكون · فما يكونه الانسان هو ما يحياه أو هو حياته · وارادته الحرة هى الموجه له لجعل الاختيارات منه ذات دلالة ومعنى ، وتصور الوجودية للكائن الانسانى وأنه موحد لقدره ونصيبه ، يختلف عن وجهة النظر المثالية والواقعية ·

فالشخص عندهما باعتباره جزءا من العقل الكلى فان سيطرته على ما حوله محدودة وذلك لأن هناك خطة فى هذا الاطار العام تحكمه ومع أن

الفرد ملتصق بهذا العالم مقيم فيه فهو الى حد ما بعيد عن سيطرته ، اما الوجودية فترى الحرية الانسانية كل لا يتجزأ وان اختياراته من صنعه ولا يستطيع أحد أن يلوم أحدا أو يلوم المجتمع · فالفشل والنجاح يكتسبه كل انسان بجهده وليس من خلال ما يسمى بالحظ أو القوة المقدسة وهى لا تؤمن باليأس أو الأمل فاليأس ينشأ عندما يتصور الانسان أن الحياة مؤقته وأننا نعيش حياة فيها أناس ومؤسسات تتحكم فى ارادتنا وهم يرون أن استجابة الفرد للحياة تتركز على السؤال الآتى : ـ هل أنا حر فى أن أقرر لنفسى بنفسى أو أننى ملزم أن اختار ما يقرره غيرى ؟ أما الأمل فينبع من امكانية الحب والحياة والعمل على ايجاد حياة ذات معنى · ولدى الانسان قدراته التى تمكنه من أن يكون قويا فى مجتمع قوى وأن يكون انسانا موثوقا به ·

ان محور الوجودية هو الفردية · فهى التى تحدد قدر الانسان وتحديد الذات مسئولية شخصية من الفرد نحو نفسه ، فهى فلسفة تؤمن بالانسان ووجوده وقدراته وبالواقع وقدرته على صنعه والمعلم الوجودى هو ذلك الذى يشجع تلاميذه على الارتباط بخبرات الحياة ذات المعنى والدلالة ودوره أن يثير من الاسئلة حول الحياة ومعناها ما يوجه التلاميذ نحو الاختيار الحر والتفكير الحر لأنفسهم بأنفسهم · والعملية التربوية عندهم محاورة بين مجموعة والاجابات فيها فردية والتلميذ هو المسئول عن تربية نفسه وان كان المعلم من وجهة النظر الرسمية هو المسئول ، والمربى الوجودى يمكنه أن يختار فى عمله أساليب تربوية مختلفة ولكن ليست هناك طريقة فى التدريس تسمح له بتعميق العلاقة بينه وبين تلاميذه الا بطريقة الحوار السقراطى Socratic dialogue فهى الأكثر مناسبة للتدريس ، والأسئلة التى تثار من خلال هذا الحوار تجعل المتعلم واعيا بظروف الحياة · وخلافا للفلسفة المثالية فى استعمال الحوار السقراطى ، فالمعلم الوجودى ليست لديه اجابات عن الأسئلة التى تثار · وأحسن الأسئلة هى تلك التى يمكن الاجابة عنها من الخبرة الذاتية للمتعلمين ·

أما عن التعليم عند الوجوديين ، فأعظم نوع مهم من المعرفة والمواد الدراسية ، هو الذى يتعامل مع الظروف الانسانية ومع الاختيارات التى يجب على الانسان القيام بها ، وهو مؤسسة لتنمية شعور المتعلم بالحرية فى

الاختيار واحساسه بالمسئولية فى هذا الاختيار · أن صعوبة التعلم لا تكمن فى تركيبة المعرفة أو فى تنظيمها ولكن فى رغبة المتعلم أن يختار وان يعطى للشىء معناه · وفى المدرسة الوجودية يختار التلميذ المواد الدراسية ويربطها ويفسرها طبقا لنظريته الخاصة للحياة · والمنهج المدرسى يجب أن يركز على الجوانب الوجدانية affective domain فى التعلم ، من تكوين الاتجاهات أو تعديلها وترقية المشاعر والعواطف والعمل على تشجيعها ، أما المواد التى كالموسيقا والفن والدراما وما اليها مما يتضمن العواطف والانفعالات والاخلاق فهى عند الوجوديين أكثر ملاءمة للمتعلم ، وهذه المواد تعتبر مواد ناعمة Soft عند المثاليين والواقعيين ، أما العلوم والحساب وغيرهما فهى أقل أهمية عند الوجودى ومع هذا يمكن أن يتعلمها المتعلم ويسمح للتلاميذ بتعلمها مادامت لهم الحرية فى اختيار المنهج المدرسى واختيار المقررات وهذا نظام مفضل عندهم ، وبما أن المدرسة مكان لتشجيع الاختيار والتعبير واتجاهات الانسان وشعوره فليس للتلاميذ حق الاختيار فى التمرد أو الوقوف ضد النظم المدرسية أو نظم المجتمع · وفى المدرسة التقليدية يختار غير التلميذ للتلميذ وتتجاهل حقيقة أن الاختيار مسئولية الفرد الخاصة وهذا ما تنادى به الفلسفة الوجودية فكل شىء فى العملية التربوية من حق المتعلم اختياره ·

ما النظرية التربوية التى ارتبطت بهذه الفلسفة ؟ ارتبط بهذه الفلسفة نظرية تربوية تحمل الاسم نفسه Existentialism وهى نظرية تؤكد الواقع والوجود فى العملية التربوية وترى أن خبرات الحياة هى الاساس وفيها التقاء مع كثير مما تراه الفلسفة البرجماسية وترى أن حرية الاختيار من المتعلم وتنمية القدرة عليه من المعلم أمر ضرورى · وهى ترى كذلك أن الانسان يصنع نفسه ويكون ذاته بما لديه من قدرات ومواهب · وهذا الاختيار ينصب على المواد الدراسية والمنهج وغيرهما ، ومسئولية المعلم فى هذه النظرية ربط المتعلم بالواقع والحياة وان يركز فى تدريسه على الجانب الجمالى وما يخدمه من علوم ·

خامسا : الفلسفة التجديدية أو البنائية أو التركيبية
Reconstructionism

وهى فلسفة ترمى الى اعادة بناء المجتمع ـ وتطبيقاتها التربوية

واضحة الى حد ما وان لم تستقر بعد فى كثير من المفاهيم وهى ترى المتعلم ثائرا متمردا مستسلما للتغير الاجتماعى وترى فى المدرس أنه مؤسسة للتغير الاجتماعى وأداة له وترى كذلك أن التحليل والنقد للمشكلات الاجتماعية ثم التخطيط لوضع الحلول هو الأسلوب الذى يجب أن يتبع ومن رواد هذه الفلسفة برامله Bramled ، وكونتس Counts وغيرهما كثيرون· وربما كانت فى التربية وغيرها نظرية تسمى البنائية وأسس هذه النظرية التربوية هى ما أشرنا اليه ، فهى ترى التحليل للمشكلات ثم التخطيط لها وفى ضوء هذا يوضع المنهج ، ولا نريد الاطالة هنا فحسبنا هذه الاشارات حتى لا نطيل على القارىء : هذه الفلسفة تصنف على أنها تقدمية تؤكد أهمية التغير الاجتماعى وتركز على أسلوب حل المشكلات ولكنها ترى أن القدرة عليها يجب أن توجه نحو حل المشكلات الاجتماعية · وهى تؤكد كذلك على عملية التكيف الاجتماعى وعلى التربية المركزة حـــول الطفل Child centered approach وهى ترى المدرسة أداة من أدوات التغير الاجتماعى ·

سادسا : الفلسفة التحليلية Philosophical Analysis :

وهى واحدة من الاتجاهات الفلسفية الحديثة فى تناول القضايا أو الموضوعات الفلسفية ، وقد اكتسبت هذه الفلسفة مكانتها فى أوائل هذا القرن مع الاعتماد على كثير من الدراسات القائمة على التحليل الرياضى للفلسفة وعلى التصور القائل بأن الرياضيات هى أساس المنطق ومن رواد هـــذه الفلسفة براتند راسل Bertrand Russel ، مـــور G.E. Moore وتشارلس دارون Charles Darwen انها أساسا طرق وأساليب لدراسة اللغة والمنطق اللذين يستخدمان فى وضع مفاهيم عن المعرفة وتدعم المناقشات والافكار من خلال استخدام التجريب والمصطلحات العلمية · والفلســـفة التحليلية هذه لا تتجه نحو وضع فلسفة جديدة وانما هى فى حقيقتها نظرة فى الطرق الفلسفية · فهى تساعد الفيلســـوف فى تحليل المصـــطلحات والاساليب والفروض وتضع مفاهيم واضحة ومجردات لتكون منطقية ولتشكل مادة تجريبية أو قابلة للتجريب قدر الامكان تساعد فى دعم الافكار وجعلها فى اطار لغوى دقيق ، وهى كذلك تؤكد على الاساليب العلمية والتجـريب وتصنيف اللغة لتتمشى مع الحركة العلمية فى هذا العصر وهى الحركة التى

ترفض الفلسفات التقليدية لأن الأفكار الأساسية فيها قد لا تتمشى تماما مع قيمة المادة العلمية والبرجماسيون كما نعلم يؤكدون على الأسلوب العلمى ولكنهم فشلوا فى استخدام اللغة الملائمة لهذا الأسلوب فمثلا استخدم جون ديوى كلمات الديموقراطية Democracy والنمو growth والخبرة Experience الخ ولكنها اثارت حوارات بين المربين بصورة توضح عدم اتفاقهم على تحديد هذه المفاهيم وعلى أية حال فالفلسفة التحليلية استجابة لفكرة المعرفة فى القرن العشرين ٠

ولا داعى للاطالة هنا أيضا وحسبنا أن نشير الى التطبيق التربوى لهذه الفلسفة وقد يشكل هذا التطبيق نظرية تربوية تحمل اسم النظرية التحليلية Analytical theory وأول ما فى هذه النظرية أو هذا التطبيق هو التأكيد على أسلوب التجريب منهجا وأن الواقع يمكن اثباته تجريبيا والتحقق منه وان الحقيقة تثبت بالتحليل المنطقى والقيم فى حقيقتها وجدانية وليست موضوعية ومن رواد هذه الفلسفة Russel Soltis وبعرض هذه الفلسفات وما نتج عنها من جوانب تطبيقية فى التربية ، نجد أن كل نظرية فلسفية ، ارتبطت بها الى حد ما نظرية تربوية أو فكر تربوى وهكذا نجد العلاقة وطيدة والارتباط واضحا ٠

هذه بعض الأفكار حول الفكر الفلسفى قديمه وحديثه وما كان لهذا الفكر من تأثير على الفكر التربوى وما قصدت بهذه الافكار شمولا فى العرض أو استيعابا لكل فلسفة أو نظرية ولكننى أردت بهذا العرض الموجز أن اكشف عن مدى العلاقة بين الفكر الفلسفى والتربية والى أى مدىكان للفكر الفلسفى تأثيره على مذاهب الفكر التربوى ولتتضح أهمية دراسة الأسس الفلسفية للتربية للمعلم ومن يعد نفسه لمهنة التدريس ، والواقع أن الفكر التربوى المعاصر لا تشكله فلسفة محددة معينة قديمة أو حديثة ولكنه كما نرى ونشاهد مزيج من عديد من الفلسفات ولا نستثنى منها القديم وان كان يمكن القول أن ما يتميز به الفكر التربوى الحديث أنه أكثر اعتمادا على نتائج العلم وتجاربه وصارت له بهذا ركائز يمكن أن يشار الى بعض البارز منها فيما يلى :

١ - أن المتعلم وشخصيته وبناءه واستغلال طاقاته وقدراته أهم مما يتعلمه ٠

٢ ـ أن المعرفة الانسانية اداة وليست غاية فى ذاتها ٠

٣ ـ أن التجريب العلمى والطريقة العلمية أساس العمل التربوى ٠

٤ ـ أن وظيفة التربية الأساسية ربط المتعلم بالحياة والواقع وتدريبه على حل المشكلات ٠

٥ ـ أن المتعلم هو الذى يتعلم ومن ثم يجب التركيز معه على التعلم الذاتى ٠

٦ ـ أن الخبرة والتفاعل بين الانسان وبيئته ومجتمعه هما أساس المتعلم ٠ ونحن نرى أنه فى البلاد المتقدمة مع اختلاف نظم التعليم وربما اختلاف فلسفة التعليم وأهدافه ، بينها وبين بعضها بل واختلاف أساليب التعليم فى الوطن الواحد منها ، الا أن هناك ما يشبه الاتفاق على مثل هذه الأسس ، فالفرد وطبيعته وذكاؤه وقدرته وتحقيق حاجاته وربطه بالمجتمع لا يختلف فيها مجتمع عن مجتمع ٠ وربما اختلفوا فى قيمة المعرفة ووظيفتها والكم الذى يعطى منها ونوع هذه المعرفة ٠ أما الانسان نفسه فلا خوف عليه ٠ والسؤال الذى يطرح نفسه أين نظامنا التربوى فى عالمنا العربى بعامة من هذه الفلسفات وهل تحكمه نظرية تربوية ؟ وهل لدينا فكر تربوى وفلسفة موجهة له ؟ وفلاسفة منظرون ؟ ومربون وضعوا نظريات سواء فى الماضى أو فى الحاضر ؟ وليس من الميسور هنا الاجابة عن مثل هذه الأسئلة الآن ٠ فلهذا حديث قد يطول ويخترق عمر الزمن طولا وعرضا وربما امتد الى أحاديث ٠ ولهذا أترك الاجابة الآن الى حديث قادم أو أحاديث ٠ والله وحده المستعان ٠

CONCLUSION

Several diverse and conflicting philosophies and theories of education influence our nation of what schools are for, and in turn ,help shape our educational golls in social and political termes, Idealism and realism and their educational drivatives perennialism and essentialism have been characterized as conservative, where as pragmatism and its educationel derivatives progressivism and reconstructionism have been characterized as liberal, existentialism and philosophical Analysis represent relatively neutral positions that nonethelen have some bearing bearing on contemporary educational theory Modern educators need to recognize that no one position can be considered completely separate from the others.

REFERENCES

-- Allanc Ornstein : Looking into teaching. Rand M.C. Nally Colleg Publishing Company Chicago, 1974.

— Jhon, S. Brubacher : Modern Philosophies of Education. New York McGrow-Hill, 1969.

— John Dewey : Democracy and Education, Macmillan 1916, George F. Kneller, Introduction to the philosophy of education 2nd ed. New York Willey 1971.

— Theodore Brameld : Philosophies of Education in Cultural Perspective, by Holt Rinehart and Winston Inc. Copyright 1955.

— Van Cleve Morries : Modern Movements in Educational Philosophy. Boston Houghton Prifflin, 1969. Philep Penise Philosophies of Education, New York Willey 1961.

— Winspear, Alban D. : The Genesis of Plato's Thought. Dryden 1941.

— Washburne, Carleton : A Living Philosophy of Education. John Day 1940.

دور مؤسسات اعداد وتدريب المعلم
فى تعزيز مهنة التعليم

دكتور أحمد الخطيب *

المقـــدمة :

انطلاقا من الدور المحورى الذى يضطلع به المعلم فى أى نظام تربوى، وايمانا بمركزية التأثير الذى يحدثه المعلم المؤهل على نوعية التعليم ومستواه فان الدول على اختلاف فلسفاتها وأهدافها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية تولى مهنة التعليم والارتقاء بالمعلم كل اهتمامها وعنايتها ، كما تتيح له فرص النمو المهنى المستمر وتيسر له الظروف لتحسين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية من منظور أن نوعية التعليم ومدى تحقيق الأهداف التربوية ومستويات الأداء عند الطلبة يقررها مستوى المعلم ومقدار الفعالية والكفاية التى يتصف بها أثناء تأديته لرسالته التربوية · وعلى هذا الأساس فانه يمكن القول بأن مقدار العناية والاهتمام بنوعية برامج اعداد وتدريب المعلم فى أى مجتمع من المجتمعات أنما تعكس مدى مسئولية ذلك المجتمع تجـاه مستقبل أجياله ومدى حرصه على توفير الخدمات التربوية لابنائه · وعلى الرغم من تعدد الوظائف التى تقوم بها الجامعة فى أى مجتمع الا أنه يمكن القول بأن وظيفتها الرئيسية هى اعداد وتنمية الكوادر البشرية القادرة على تلبية احتياجات خطط التنمية الوطنية من العمالة المدربة · يضاف الى ذلك أن الجامعات تضع فى مقدمة أولوياتها اعداد تدريب المعلمين الذين توكل اليهم تنمية وتطوير الثروة البشرية والتى تعتبر المحرك الأساسى فى ارتياد المجتمع لافاق التنمية الوطنية الاقتصادية والاجتماعية · وأن المجتمعات التى حققت تقدما فى مجال التنمية الاقتصادية قد أدركت أن تنمية الثروة البشرية تعتبر المدخل الحقيقى للتنمية الوطنية الشاملة ·

ومن هذه المنطلقات فان مؤسسات اعداد وتدريب المعلم تقوم بوظيفة

(*) جامعة اليرموك ، الاردن ·

مركزية من خلال تزويد النظام التربوى باحد مدخلاته الرئيسية الا وهو المعلم ، على اعتبار أن مخرجات النظام التربوى ومدى كفايته وفعاليته يحددها مدى الاقتدار عند الكوادر التدريسية التى تم اعدادها وتدريبها فى مؤسسات اعداد وتدريب المعلم ٠

ومما يجدر ذكره هنا أن عالمنا المعاصر يشهد سلسلة من التغيرات والتطورات المعرفية والعلمية والتكنولوجية بشكل لم يسبق له مثيل فى أى حقبة سابقة من تاريخ البشرية ، حتى أن بعض المؤرخين عند وصفهم لعصرنا هذا انما يطلقون عليه اسم عصر التفجر المعرفى والتكنولوجى ٠ وأن هذا التفجر المعرفى والتكنولوجى المتسارع قد أضاف مسئوليات وواجبات جديدة على الدور الذى يضطلع به المعلم فى المجتمع المعاصر الأمر الذى استلزم أن تقوم برامج تدريب المعلمين التقليدية بعملية مراجعة جذرية للاساليب والطرق والممارسات التى تعتمدها فى اعداد وتدريب المعلمين بهدف تمكين معلمى المستقبل من أداء أدوارهم الجـــديدة التى تحتمها التحولات الاجتماعية والحضارية التى يشهدها مجتمعنا المعاصر ٠

فالبرامج التقليدية لتدريب المعلمين تعتمد على المعرفة النظرية وترتكز على فرضية خاطئة مؤداها أن المعلم الذى يعرف يكون قادرا على تطبيق هذه المعرفة فى ممارسات أدائية اجرائية عملية ٠

ويعتبر هذا النوع من البرامج معدل العلامات(*) التى يحصل عليها الطالب فى المساقات (**) الدراسية المقررة اعتمادا على امتحانات ورقية المعيار الذى بموجبه يتم الحكم على نجاحه كمعلم فى المستقبل وبالتالى المعيار الذى بموجبه يتم الحكم على مدى فعالية برنامج اعداد المعلمين بوجه عام ٠ ونظرا للاستياء من البرامج التقليدية لتدريب المعلمين لعدم كفايتها وفعاليتها ونتيجة للتطورات التى تمت فى ميدان تكنولوجيا التربية واستجابة للحاجات التدريبية المتجددة للمعلمين أثناء الخدمة فقد برزت الحاجة الى اعتماد طرق وأساليب جديدة فى التدريب تتجاوز الثغرات والعيوب التى لحقت بالبرامج التقليدية لتدريب المعلمين ٠

(*) الدرجات ٠

(**) المقررات ٠

واقع مؤسسات اعداد وتدريب المعلم فى دول الخليج العربى ومحتوى برامجها :

على الرغم من التفاوت والاختلاف النسبى فى الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية بين دول الخليج العربى ، الا أنه يمكن القول بأن هناك عددا من الملامح والخصائص المشتركة التى لونت التجربة التربوية لانظمة التعليم فى هذه الدول وبالتالى انعكست تأثيراتها على مؤسسات اعداد وتدريب المعلم · وان الدارس لواقع مؤسسات اعداد وتدريب المعلم يلاحظ عددا من الملامح والخصائص المشتركة ومنها :

١ - غياب السياسات الوطنية المتعلقة باعداد وتدريب المعلم :

ويقصد بالسياسة الوطنية أن تتبنى كل دولة من دول الخليج العربى سياسة وطنية محددة لاعداد وتدريب المعلم من الناحيتين الكمية والكيفية ، وأن تحدد من خلال هـــذه السياسة الحاجات الآنية والمستقبلية من كوادر المعلمين المؤهلين · اذ على الرغم من مرور عدة عقود على بدايات التعليم النظامى فى معظم دول الخليج العربى الا أن هذه الدول لم تعتمد سياسة مقننة لاعداد وتدريب المعلم يتحدد من خلالها معايير ومواصفات المعلم فى كل مرحلة تعليمية ومعايير اختيار وانتقاء واجازة المعلم للتدريس ، يضاف الى ذلك عجز مؤسسات اعداد وتدريب المعلم عن توفير الكوادر الوطنية من المعلمين المؤهلين ، حيث تبلغ نسبة المعلمين من غير الوطنيين الى المجموع العام للمعلمين فى أقطار الخليج العربى (٥٥٪) · وترتفع هذه النسبة لتصل الى (٨٩٪) فى دولة الامارات العربية المتحدة ، (٧٠٪) فى دولة الكويت ، (٦٩٪) فى دولة قطر ، (٤٧٪) فى المملكة العربية السعودية ·

وفيما يلى جدول يبين اعداد المعلمين غير الوطنيين فى دول الخليج العربى ونسبتهم المئوية من المجموع العام للمعلمين حسب احصائيات ٨٠/ ١٩٨١ م (١) ·

---

1. UNESCO-UNEDBAS, Status of Teachers in the Arab Region, (Paris : UNESCO, 1985).

جدول يبين اعداد المعلمين غير الوطنيين فى دول الخليج العـــربى
ونسبتهم المئوية من المجموع العام للمعلمين حسب احصائية ١٩٨٠/١٩٨١م*

اعداد المعلمين / الدولة	المجموع العام	عدد المعلمين غير الوطنيين	النسبة المئوية ٪
الامارات العربية المتحدة	١٠ر١٨٩	٧ر٣٨٩	٧٣
البحـــرين	٤ر١٢٧	٧٠٩	١٧
الكـــويت	٢١ر٧٥٣	١٥ر٢٥٨	٧٠
المملكة العربية السعودية	٧٥ر٧٩٧	٣٥ر٦٠١	٤٧
الجمهورية العراقية	١٢٧ر٧٣٠	٥٠٠	تم استثناء الجمهورية العراقية من العمليـات الاحصـــائية بسبب تدنى اعـــداد المعلمين غير الوطنيين
سلطنة عمـان	٥ر٦٦٣	٥ر٠٥٧	٨٩
قطـــر	٣ر٤٤٦	٢ر٣٨٠	٦٩
المجموع العـام	١٢٠ر٩٧٥	٦٦ر٣٩٤	٥٥

* **Source :** UNESCO Unedbas, **Status of Teachers in the Arab Region** (Paris : UNESCO, 1985).